قصيدة(سيف الملهم) للأمير عبدالرحمن بن مساعد مقاربة سيميائية

د. موزة حمد الكعبي

قسم الدراسات الإنسانية – الكلية الجامعية في القرية العليا – جامعة حفر الباطن – المملكة العربية السعودية

المُلخَص

يسير هذا البحث بأدوات سيميائية متعددة في دراسة لقصيدة الشاعر عبد الرحمن بن مساعد، التي قيلت دفاعًا عن الوطن وقيادته؛ تعزيزًا وردًّا على المغرضين، وجاء المنهج السيميائي بأدواته: التشاكل والتباين والتناص أبعادًا في النص وحدوده من بنى عميقة و صريحة، وتحليل الدوال والصور الفنية عبر المربع الغريماسي؛ ليكشف عن التنظيم الداخلي لبنى التيمات في قصيدة الأمير عبد الرحمن المساعد"سيف الملهم"، وكيف أسهمت هذه الأدوات في تشكيل شبكة سياقية توصل الرسالة التي أرادها الشاعر، وتصنع أبعادًا فنية، منها جمالية التناص الذي ظاهره نسخ، وباطنه التقاء وافتراق من حيث مقدرة الشاعرين ومرداهما، وكيف استفاد الشاعر الأمير من مركزية معلقة عنترة؛ ليوظفها في خدمة قصيدته، ولنخلص أيضًا إلى أن تولد البنية الكبيرة جاء من بنيات متعددة كوّنت لبنات النص، وأظهرته بشكلٍ سيميائي يوحي بأبعاد رمزية، فخرج النص بأربع تيمات: التعرف، والحقد، والازدواج، والفداء والتضحية، وما تولد عن هذه التيمات الأساسية من سياقات نصية ظاهرة وعميقة تناسلت؛ لتمتد شبكتها في السياقات النصية التي تخدم البنية الكبيرة على مستوى الذات والآخر، ونظرة الأنا المبدعة للآخر.

الكلمات المفتاحية: المربع الغريماسي، التشاكل، التباين، السيميائية، التناص.

Poem of (Saif Al Mulhim) by Prince ABDULRAHMAN BIN MUSAED

A Semiotic Approach

Dr:mozah hamad alkaabi

Hafar Al-Batin University Alqaryah aloya University College

Department of Humanities StudiesSaudi-Dammam

Abstract

This research discusses multiple semiotic tools to study the poem of the poet ABDULRAHMAN BIN MUSAED, which was said as a defense of the homeland and its leadership in an enhancement and in response to the disinterested people. The semiotic approach was included its formation, morphology and intertextuality as dimensions of the text, as well as its borders frankly and deeply, as well as analysis the functions and technical images by means of the grammatical square, to detect the internal organization for construction themes at the poem of Prince ABDULRAHMAN BIN MUSAED (Saif Al Mulhim), and the way of participation of these tools in formation a contextual network that conveys the message of the poet, and creates artistic dimensions, such as aesthetic of intertextuality whose appearance is copying, and internally, is a collection and a separation regarding the abilities and desires of both poets, and the mechanism of taking benefits of the prince poet from Antara poetry, in order to make use to serve his poem, and in conclusion. We also find out the generation of the great structure, came from multiple structures, that were formed for construction the text, and shown in a semiotic way which spreads at its symbolic dimensions, so that, the text was concluded by four themes : recognition, hatred, duplicity, redemption, and sacrifice, and the generations which are reproduced from these main themes, such as apparent and deep textual contexts, and were extended in order its network extended at the textual contexts that serve the great structure at the self and other level, and the creative ego view for other.

Key words: Grammatical square, morphology, contrast, semiotics, and intertextuality.

مُقَدِمَةٌ :

يتناول هذا البحث قصيدة الأمير عبد الرحمن المساعد التي مطلعها "هل أدرك السفهاء"، التي قيلت في وضع سياسي صعب، استغل فيه الحاقدون والحاسدون قضية مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي، واتهام ولي العهد بتدبير ذلك، فجاءت القصيدة ردًّا على ذلك الاتهام، مركّزة على ازدواجية الخصوم وحقدهم؛ ليكون الرد بمواجهتهم بالشعب الذي سيقف أمامهم كالسيف للدفاع والتضحية في سبيل الوطن، وأن الشعب سيفدي الوطن قبل أن يطلب منه.

يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما أثر التناص في مطلع القصيدة على موضوع القصيدة (البنية الكبرى والصغرى)؟

٢- إلى أي مدى كان هذا التناص من حيث الالتقاء والاختلاف؟

٣- هل تناص الشاعر مع عنترة كعادة الشعراء المتناصين من عنترة أم اختلف عنهم؟

٤- ما أثر الدوال في تكوين السياقات النصية؟

٥- كيف تناسلت البنى النصية الصغرى؟ وما دورها في تعزيز البنية النصية الكبرى؟

٦- ما الوحدة الموضوعاتية ا(التيمة)المهيمنة على النص؟ وأثرها في تولد التيمات الصغرى؟

٧- ما أنواع العلاقات القائمة بين التيمات وفق إجراء التشاكل والتباين؟

٨- في أي المواضع تتعقد العلاقات بين الذات الشاعرة والآخر الغريم؟

٩- كيف وجدت الذات الشاعرة موقعها في هذه التيمات؟

إن النص المستهدف قصيدة الأمير عبد

الرحمن التي مطلعها: "هل أدرك السفهاء". والمنهجية سيميائية تناصية تشاكلية تباينية.

تعتمد هذه الدراسة المنهج السيميائي بوصفه "منهجًا نقديًا حديثًا، يتناول العمل الأدبي من وجهة سياقية ضمن معطيات اللسانيات التي تهتم بالتحليل النصي؛ محاولة اكتشاف الثنائيات وبحث ما بين علامات النص من علامات منطقية كمنطق المشابهة والتماثل والتباين"[(١)]، عبر إجراء التناص والتشاكل والتباين، فالمنهج مقاربة سيميائية تناصية تشاكلية تباينية.

لم أجد من تناول نتاج الأمير الشعري الفصيح بالدراسة على وجه الخصوص –على حسب اطلاعي- أما من حيث السيميائية في التشاكل والتباين فهناك بحثٌ للدكتورة الجوهرة الجهجاه[(٢)] في دراستها المقدمة لمجلة العلوم العربية الصادرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الثاني، ١٤٤٠هـ، بعنوان: البنية الموضوعاتية في قصيدة حاتم الطائي؛ "وإني لعفُّ الفقرِ مشتركُ الغنى" في ضوء إجراء التشاكل والتباين السيميائي، وهي وإن أشهبت دراستي منهجًا، لكنها مختلفة عنها من حيث عدم تطرقهاإلى السيميائية التناصية،واعتمدت على إحصائية البنى الصريحة، واستفاضت في ذلك بصورة كبيرة، وهو ما لم تعتمد عليه دراستي. الدراسة الأخرى التي تشبه دراستي إلى حدٍّ ما، وهي: "سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي" (٢٠١٩)، فقد ركّزت على مطلع القصيدة وأثره فيها، دون بقية القصيدة، أما دراستي فقد جمعت بين التناص والسيميائية عبر إجراء التشاكل والتباين في القصيدة كلها.

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

ومنهجيته، والدراسات السابقة، وتقسيمات البحث.

التمهيد: يحتوي على محورين:

- أولًا: التعريف بمصطلحات الدراسة.
- ثانيًا: التعريف بالشاعر.

المبحث الأول: سيميائية النص الموازي.

المبحث الثاني: سيميائية الحجاج في النص .

المبحث الثالث: سيميائية البنية العميقة والبنية السطحية.

---

(١) السويكت، عبد الله خليفة: شعرية العزلة مقاربة في تشاكل النص الجني القديم، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ربيع الأول- ١٤٣٩هـ، ص٢.

(٢) الجهجاه، الجوهرة بن محمد: البنية الموضوعاتية في قصيدة حاتم الطائي (وإني لعفُّ الفقر مشتركُ الغنى) في ضوء إجراء التشاكل والتباين الإجرائي. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض. (٥٢)، ١٤٤١هـ، ص٢١٤.

التمهيد

أولًا: التعريف بمصطلحات الدراسة:

- **التيمة:**

لغة هي: الجذر، المدار، الموضوع، واصطلاحًا: هي إحدى البؤر التي ينظر منها المبدع إلى الوجود، وهي كذلك إحدى الوحدات الدلالية ذات الفاعلية الدلالية التخييلية المتميزة، والنافذة التي ينظر منها المبدع إلى الكلمة الأدبية، وما تتضمنه من وحدات معنوية جزئية[١]، فالتيمة هي الوحدة الدلالية للنص[٢].

- **التشاكل:**

أول من أدخله جوليان غريماس إلى حقل اللسانيات، وهو سلسلة من المعاني السياقية التي تؤكد تجانس الخطاب المنطوق، ومن منطلق هذه الرؤية يتضح أن البنية تربط عنصرين دلاليين معًا على الأقل بوصفه الحد الأدنى الضروري لتأسيس التشاكل، "وقد خرج موضوع التشاكل عن حدود التكرار إلى المقولات المعنوية والموضوعاتية وما لتلك المقولات المعنوية ورمزيتها "[٣].

- **التباين:**

مجموعة عناصر تدل على اشتمال الموقف على حالات متعارضة، تؤدي إلى مغايرة تحدد أبعاد الصراع الدرامي[٤]، والتباين يمثل الآخر غير المقابل، وهو قائم على آلية التأويل باختلاف مستوياتها[٥].

- **البنية السطحية:**

"البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم"[٦]، فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز[٧].

- **البنية العميقة:**

القواعد التي أوجدت من أجل تتابع كلمات البنية السطحية لتبين هذه القواعد تكوين الجمل في مستوى أعمق "عكس السابقة[٨]، "وهي ترتبط بمفهوم أيدولوجي، وتكون البنية السطحية هي مبدأ الانطلاق لها"[٩].

بنية العميقة فهي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، و يمثل التفسير الدلالي الذي تُشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية.

- **المربع السيميائي:**

" إحدى التقنيات التحليلية التي تسعى إلى إظهار التقابلات ونقاط التقاطع بينها في النصوص والممارسات الاجتماعية، وتطبيق ما يعرف بالمربع السيميائي، وقد صاغه "ألجير داس غريماس" لتحليل السيميائية بعمق أكبر، فيضع خارطة للوصل والفصل بين السمات الدلالية في النص"[١٠].

---

[١] التفكير البيني أسسها النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، رمضان، صالح عبد الهادي، ص٢٢٠-٢٢١.

[٢] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانغونو، دومنيك، ص١١٠.

[٣] المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، غريماس، كورتيس وآخرون، ص١٦٣.

[٤] النقد الموضوعاتي، علوش، ص٦٢.

[٥] التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مرتاص، عبد الملك، ص١٣٢.

[٦]. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، مالك، رشيد، ص٢٠٥.

[٧] اللسانيات النشأة و التطور، أحمد مؤمن ديوان المطبوعات الجامعية، ط٥، (قسنطينة- الجزائر)، ٢٠١٥، ص٢

[٨] قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، مالك، رشيد، ص٢٠٥.

[٩] اللسانيات النشأة و التطور، أحمد مؤمن ديوان المطبوعات الجامعية، ط٥، (قسنطينة- الجزائر)، ٢٠١٥، ص٢

[١٠] أسس السيميائية، المنظومة العربية للترجمة، تشاندر، دانيال، ص١٢٠، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد

فهو مجموعة من العلاقات قادرة على تمفصلات المدلولية، وبفضل هذه الأداة نستطيع تقييم وترتيب كل العناصر التي تشرف على روابطها لإظهار المعنى في النص"[١].

وسيتضح شكل هذا المربع عبر التطبيق، وجرت العادة إيجاب على الشكل الآعلاقة تضاد

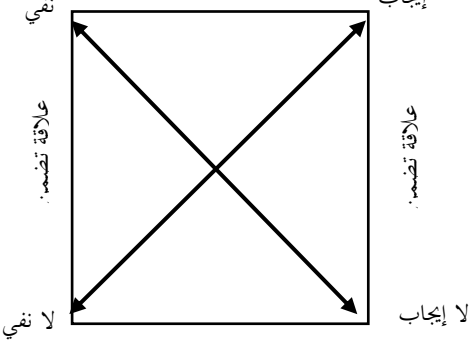

علاقة شبه تضاد

شكل رقم (١)

إن بنية الدلالة الأساسية هي التطور النطقي لفئة ثنائية من النموذج، أبيض يقابل أسود؛ يشكل طرفاها علاقة تضاد، وباستطاعة كل طرف أيضًا أن يسقط طرفًا جديدًا يكون نقيضه، ويمكن للأطراف المتناقضة إقامة علاقة تضَمُّن مع الطرف المضاد المقابل[٢]، وهذاالتضاد والتناقض يخرجنا بحد التضاد وما تحت التضاد[٣]، فحياة النص وصيغته تحكم فيها مبدأ الصراع على التضاد وشبه التضاد أو التداخل الممثل فيها على جميع مستويات اللغة[٤].

ثانيا: قائل النص:

هو الأمير عبد الرحمن بن مساعد بن عبد العزيز آل سعود، ولد في سنة 1387 للهجرة الموافق1967 ، وهو أحد أبناء الأمير مساعد بن عبد العزيز آل سعود، درس في الفيصلية في مدارس الرياض، ثم درس في كلية الهندسة أربع سنوات، وحفظ القرآن الكريم في سنٍ مبكرة، وكتبَ الشعر النبطي بلغة شاعرية مميزة، وقد ترأس إحدى الأندية الرياضية السعودية لفترة ما، والأمير أحد الشعراء البارزين في الشعر النبطي، وله بعض من القصائد في الشعر الفصيح، وأقام كثيرًا من الأمسيات الشعرية في الرياض وجدة وعدد من العواصم الخليجية والعربية[٥].

المبحث الأول: سيميائية النص الموازي

ويشمل سيميائية مطلع القصيدة[-العتبة] وتناصها، وسيميائية العنوان والخاتمة .

أ- سيميائية مطلع القصيدة:

لا يُشكّ بتناص مطلع قصيدة الأمير مع أول بيت في معلقة عنترة.

وهذا يذكرنا بما قاله ابن رشيق قبل أكثر من ألف سنة عن معلقة عنترة فقد ذكر: "بأن شطر البيت يعد نفسه محدثًا، وبأن الشعراء لم يتركوا له شيئًا، وقد أتى بما لم يأت الشعراء قبله، ولم ينازعه في ذلك متأخر"[٦].

ليكمل الناقد المعاصر مرتاض قوله: "بأن في مطلع قصيدة عنترة ما هو مسكوت عنه، وما هو غير مبلور فيه، ولا محيل للغير؛ وذاك لأنه شعر، وما كان للشعر أن يخوض في تفاصيل القول....ولا شك أن في مطلع قصيدته إشارة إلى التناص بين النصوص الفنية، فالشعراء يتناصون في معانيهم و ألفاظهم"[٧].

وهذا ما حصل مع الأمير الشاعر فـ" استشفاف نص من النصوص الخارجية يصعب في كثير من الأحيان "[٨]غير أن تواصل هذه القصيدة وحوارها لمعلقة عنترة كان على غير ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل هذا التناص نسخٌ واجترارٌ فحسب، بوصف أن التناص طافٍ على السطح لا يتخالف فيه اثنان؟ أم أن هذا التناص له أبعادٌ اكتسبها من النص الأصلي وامتدت شبكة معانيه فيها؟، فمطلع عنترة:

مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ٣، ص: ١٩.

[١] قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، مالك، رشيد، ص٢٣.

[٢] في المعنى (دراسات سيميائية). غريماس، جوليان، ص٦٥.

[٣] في المعنى (دراسات سيميائية). غريماس، جوليان، ص٦٥.

[٤]دينامية اللغة تنظير وإنجاز محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٠ط:٢م، ص: ٦١.

[٥] الشعراء العرب في القرن العشرين؛ شعرهم وآثارهم، الروضان، ص٤٤.

[٦] عنترة: الشاعر الثائر: من العبوديّة إلى الحُرّارِ عبد الملك مرتاض، مجلة مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، الجزائر، عدد(١١)، ٢٠١٤م، ص٧ وما بعد.

[٧] عنترة: الشاعر الثائر: من العبوديّة إلى الحُرّارِ، مرتاض، مرجع سابق، ص٨.

[٨]دينامية النص، محمد مفتاح، ص١٠٣.

هلْ غادرَ الشُّعراءُ مِن مُتردِّمِ أم هل عرفتَ الدَّارَ بعد توهّمِ

أما مطلع قصيدة الأمير فهي:

هلْ أدركَ السُّفهاءُ بعد تَوهُّمِ

أنَّ السعوديينَ سيفُ المُلهمِ

ونلحظ أن الاستبدال حصل بين:

الشعراء ← السفهاء

من متردم ← بعد توهم

فالفاعل مختلف على الرغم من ذكر الشاعر "هل أدرك" التي تناصت مع "هل غادر" في بيت عنترة، ومصراع البيت تجاوز مصراع القصيدة المتعالق معها؛ لينتقل إلى مصراع الشطر الثاني، كما أن الشطر الثاني مختلف جدًا عن القصيدة المتناص معها، فبينهما شوطٌ واسع؛ فمعلقة عنترة أتبعت الاستفهام باستفهام مضرب عن المعنى الأول "أم عرفت الدار بعد توهم"؛ مسوغًا حيرته التي صادفت نظمه، بتغير الدار وعدم تعرّفه عليها؛ لطول المدة، وعنترة لم يجب عن سؤاله الإنكاري، فترك الكلام معلّقًا بحذف خبره أو جوابه من حيث إن حق الكلام: "هل ترك الشعراء من متردّمٍ إلا ردموه"، وإنما حذف الجواب ليكون أبلغ في البيان، وألطف في الآذان، وأدعى أن يسهم المتلقي في إكمال ما ابتدأ الشاعر، فتركه له ليكمله، وهذا هو شأن الإبداع الشعري؛ حيث إن المبدع ليس مسؤولًا عن تقديم صورة كاملة لعلمه للمتلقي فيحرمه من التنبّه والاجتهاد في حسن التلقي[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هذا التناص عابر لبنيات القصيدة، أم أن حدوده اقتصرت على المطلع فقط؟

إن المُطّلع على ظاهر القصيدة يرى اختلافًا في القصيدتين من حيث البنى الموضوعاتية والشكلية، ابتداء من الجملة الخبرية لشطر القصيدة الأميرية المؤكدة بـ"أن"، وفي هذا حبكة تناسب كلمة السفهاء والأفعال العقلية التي أثارها الشاعر في المطلع" أدرك" و"توهم" التي سنشير إلى سيميائيتها؛ مما قد يعطي مؤشر اختلاف جذري للقصيدة، فالمعلقة شاعرية المطلع، استفهام يتبعه استفهام؛ مما يجعل الجواب فراغات بيضاء، يلونها القارئ عبر تأويلاته، في حين قصيدة الأمير صارمة عقلية بمؤكدها وجوابها للمفعول المحذوف، وهو "حقيقة الإدراك"، غير أن التناص الظاهر في المطلع لم يغب عن بنيات القصيدة، فمعلقة عنترة غزلية توضح فروسيّته ومكابدته في عشقه الممنوع منه، وقصيدة الأمير في حديثها من نوع آخر؛ حب الوطن، وفروسية شعبه في الدفاع عنه، وحبّ السعوديين لقيادتهم وبلدهم، وبأسهم في الدفاع عنه، ليس فقط عن طريق الحرب، بل عن طريق البناء للوطن، وهذه حرب أخرى، فالقوة في الجسد والعقل، وهاتان الثنائيتان تغلغلتا في القصيدتين بطريقة مباشرة في قصيدة عنترة، وبطريقة غير مباشرة في قصيدة الأمير، وسيتضح ذلك أكثر في الحديث عن الحقول الدلالية للقصيدة. ولعل عروق تناص المطلع أذابت المعاني العنترية الكبرى في بنيات القصيدة الأميرية فقد تشاكلت مع المعلقة من جهة، وتباينت معها من جهة أخرى؛ لنرى التقاء التناص في المعنى الكلي من حيث الموضوع، فالتناص في مطلع قصيدة الأمير ليس اجترارًا ومماثلة كما في ظاهره، فهناك تداخلات نصية حققت قدرًا من التفاعل الذي يدنيها من التصور البنيوي لحدود هذا التفاعل[٢].

إن التناص الكلي بين الحب للمحبوبة والحرب والدفاع عن النفس في العنترية،وحب الوطن وفروسية شعبة في الدفاع عنه في الأميرية؛ يجعلنا نخلص في هذه الفقرة إلى أن سيمياء التناص الذي حصل في مطلع البيت شكلًا لا معنى من حيث الشبه في التركيب والوزنعلى البحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، إلا أن الشاعر لم يخلص من التناص في المعنى الذي هيمن على بقية القصيدة حول ثنائية الحب والحرب في الدفاع عن الأرض والنفس.

والسؤال المطروح: لم تناصَّ مع المعلقة العنترية، وما الهاجس الذي حدا به للتعالق والتناص؟ وإن كنا نرى، ونصرّ على اختلاف الموضوعين، فهناك روافد التقاء من بعيد كانت أو قريب، فالقصيدة الأميرية مثلا تحمل حب الوطن مقابل القصيدة العنترية التي تحمل حبّه لعبلة، ومقابل ما عرف عن فروسية عنترة نجد فروسية الشعب السعودي في الدفاع عن وطنه وقادتهم، فالشاعر وجد في شجاعة عنترة المتصدرة من الإقدام ما يقابل شجاعة السعوديين المتصدرة في دفاع عن وطنهم، وفي حبّ عنترة لعبلة ما يقابله حبّ السعوديين لوطنهم.

ب- سيميائية عنوان القصيدة والمطلع والخاتمة

هل أدْرَكَ السُّفهاءُ بَعْدَ تَوَهُّمٍ أَنَّ السعوديّينَ سيفُ المُلْهِمِ

---

(١) عنترة الشداد من العبودية إلى الأحرار، مرتاض، ص١٠.

(٢) التعالق النصي في شعرنا القديم معلقة امرئ القيس نموذجًا، الندوة الدولية، قضايا المنهج في الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، ميدان، أيمن محمد علي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٠م.

فبِهِمْ مُحَمّدُ يرتقي ببلادِه وبِهِ منازِلُهُمْ وراءَ الأنْجُم

ماجَ البُغاةُ بِقَضِّهِم وقَضيضِهِمْ يرجونَ هدمَ بنائهِ المُتقدِّمِ

أطلق الشاعر على القصيدة مسمى في إحدى لقاءته (سيف الملهم)، وهذا التركيب أُخذ من البنية العميقة للنص التي سنتحدث عنها، فالعنوان يحمل صورة فنية بتشبيه الشعب بالسيف، وستتجلى القيمة الفنية لهذا العنوان الذي هو أساس في البنية العميقة للنص:

هل أدرك السفهاءُ بعد توهم؟

فكلمة "السفهاء" يمكن عدُّها مفتاحًا للنص، فمجيء كلمة السفهاء في مطلع البيت على الرغم من أنها ليست بذات الشاعرية العالية، فإن لها مؤشرًا يوجه دلالات القصيدة، فمعرفة أطراف النص تساعد في معرفة جو النص، ورسم صورة متخيلة عن لغته ومساراته للمتلقي، فقد منحت المطلع نعوتًا لمن عناهم الشاعر الأمير بخطابه، فليس شرطًا أن يكونوا سفهاء ناقصي عقل، إلا أن تفكيرهم الفاسد ونيتهم الخبيثة جعل رأيهم كالسفيه الناقص للعقل والبصيرة؟

إذاً فالمقام يقتضي حديث العقل والتدرج؛ لصغر عقولهم، وضيق تفكيرهم؛ لذلك استعان الشاعر بالأفعال العقلية التي تدور في سلاسل التفكير والتأمل كـ"أدرك"، والفعل "توهم". فـ"أدرك" بمعناها المعجمي اللحاق، و"توهم": التفرس وتخيل الشيء، وكأنه لم يكن موجودًا[1].

غير أن السياق جعل للفعلين مدى أكثر سعة، فقد أراد هؤلاء بولي العهد الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله- السوء، فمبدأ تفكيرهم التوهم والتجاهل للحقائق؛ لذا يطلب منهم بطريقة غير مباشرة تغير طريقة تفكيرهم، وبذا يدخل الفعلان "توهم، و"أدرك" من المعجمية إلى الشعرية؛ ليصبح الفعلان متلائمين مع سمة السفهاء، فالإدراك والتوهم سمات متشاكلة؛ حيث إن مردها إلى حيز الأفعال العقلية.

وفي هذه المنظومة السيميائية "هل أدرك" سمة مركبة تجنح إلى التقوقع في التفكير والعقل، وقدَّم سمة الإدراك على التوهم؛ ليطلب منهم تعديل سلوكيات تفكيرهم، فسببها التوهم في الأمر والكيل بمكيالين، وكأنه يحجّهم عبر ذكر اللاحق للسابق، وهو السبب في انحراف ما اعتقدوه، فالإدراك لحاق السابق .

إن الاستفهام هنا إنكاري، أثبتت إجابته بالجملة الخبرية: "إن السعوديين سيف ملهم".

يتناص الأمير مع صاحبه عنترة قاصدًا أو غير قاصد؛ وذلك لأن مقام السفهاء يختلف، فهم يحتاجون لسياق صارم قاطع لا لسياق يترك لهم مساحات للتأويل، وبخاصة أننا في مطلع القصيدة، ولا أدل على ذلك من أن مطلع القصيدة جاء شارحًا مصورًا لما فعلوه مباشرة، كما سنبين في الحقول الدلالية للنص وتياته.

قد دارت أيقونات سيميائية ذات دلالات عميقة منها: الدال" سيف"، فمن المتعارف عليه أنه أداة تصنع في الحروب، غير أن السمة التي أراد الشاعر إيصالها هي أن السعوديين مع قيادتهم لُحمة واحدة، بل أكثر من ذلك، فهم مدافعون عنها، فهم لها كالسيف، والسيف سلاح يتباهى به العربي، فهو عدّته، كما أن عدّة الأمير محمد بن سلمان السعوديون، وهنا تشاكلٌ عميق لا يتأتى إلا بالفكر، فالشاعر لم يرد أن يحصر نفسه في المعنى المعجمي، بل أراد استعمال المعنى المعجمي كأيقونات لها مدى، ومتلازمات معنوية عالية.

إن الدال "الملهم": في هذه الكلمة يجعلنا نعود إلى ما ذكرنا من أن الشاعر أراد حديث العقل وخطوات التفكير، والتفكر في حيز الأفعال العقلية، وإن كان "ملهم" اسم الفاعل، فالملهم من الإلهام "مَا يُلْقى فِي الرُّوعِ ويَسْتَلْهِمُ اللَّهَ الرَّشادَ، وأَلْهَمَ اللَّهُ فُلَانًا"[2]، هذا من حيث المعجم، أما من حيث التحليل السيميائي فإن ولي العهد الأمير محمد بن سلمان هو المعني، فهو قائد النهضة، وصاحب الرؤية. وفي الإسناد اللغوي سيف الملهم" إشارات سيميائية ممزوجة بحسٍّ حجاجي عقلي، وكأنه يقول: كيف لكم أن تحاولوا تأليب الشعب على الأمير محمد بن سلمان وهم سيفه، فكفّوا عن ذلك؛ لأن ذلك لا جدوى منه.

هل أدْرَكَ السُّفهاءُ بَعْدَ تَوَهُّمِ أَنَّ السعوديّينَ سيفُ المُلْهِمِ

فبِهِمْ مُحَمّدُ يرتقي ببلادِه وبِهِ منازِلُهُمْ وراء الأنْجُمِ

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (وهم)، (درك).

[2] تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، مادة: لهم.

المبحث الثاني: المبحث الثاني: سيميائية الحجاج في النص .

أ- سيميائية الحجاج في مطلع القصيدة

هل أدْرَكَ السُّفهاءُ بَعْدَ أَنَّ السعوديّينَ سيفُ
فبِهِمْ مُحَمّدُ يرتقي ببلادِه وبِهِ منازِلُهُمْ وراءَ الأنْجُمِ

إن المَطَالع من المواضع التي يجب على الشاعر أن يحسن انتقاءها، وأن يتأنق بها؛ لتكون أعذب لفظًا وأحسن سبكًا وأصح معنىً، وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود[١]، ولا شك في أن قصيدة الأمير حققت ذلك، فقد كان هذا المطلع فاتحة لما يريد الولوج إليه من حديث كيد الأعداء ومواجهة هذا الكيد من قبل السعوديين عبر الاستفهام الإنكاري، وزادت قوة مطلع القصيدة بتناصها مع مطلع معلقة عنترة، وهذا وحده كفيل بجذب السامع؛ لما للمعلقة من مكانة لا ينكرها متذوق في الأدب.

أما الاستفهام فهو أداة حجاجية للفعلين: "توهم"، و"أدرك" ذوي الدلالة العقلية، وبينهما سمة مضادة، فالإدراك يختص بالسابق ليقابلها بالظرف "بعد"، وكأنه يريد لفكر القارئ -ومن قبله السفهاء- أن يرتب تأويله وتفكيره؛ لأن السياق مليءٌ بالحجج التي يطرحها على سبيل الإقناع، بل الضغط الذي يتجلى عبر الأمثلة والتساؤلات.

ولا شك في أن الجملة الأخيرة المؤكدة شاهد على ما ذكر، فالشاعر لا يريد أن يفسح مجالًا للتفكير؛ ليجزم بأن السعوديين أول من سيدافع عن ولي العهد محمد بن سلمان –حفظه الله- وكأنه يقول لهم لا تتعبوا أنفسكم برسم المكائد؛ لأنهم في صدارة من يدرأ عنه ويدافع، فلا عجب حين نراه يرمز لولي العهد "بالملهم"؛ تعزيزًا لمكانته وبيان دوره؛ لتكسب هذه الكلمة تساؤلًا للسفهاء أي مسعى تسعون للطعن منه، وهو من يلهم الإبداع وحب الوطن؛ ليصرّح باسمه في الشطر الثاني: "فبهم محمد"، ويشرح في البيت الثاني ما اختصره في البيت الأول؛ حيث وضّح مصدر الإلهام للسعوديين، فهو الأمير محمد بن سلمان؛ فهو بانٍ لنهضتهم، وهو ساعٍ لجعل مكانة بلاده وشعبه في مكانٍ عالٍ، وبالتالي فالبيت الثاني متصل بالبيت السابق، جاعلًا منه تعليلًا للأول؛ ليكون البيت الثاني مسببًا لما في البيت الأول، و بالأخص لم هم "سيف الملهم"؟ لأنه كذا وكذا، و"هذه تقنية حجاجية، تعتمد على التتابع والربط عبر ربط المسبّب بالسبب"[٢].

علاوة على ذلك الاستشهاد ببيت له قداسة في أذهان العرب؛ ليدعم مراد الشاعر، وهو ما استوقفنا على جمالية التناص في هذه الدراسة.

ب-سيميائية خاتمة القصيدة

يا خَيْرَ أرْضٍ في الدُّنَا قَدْ إنّا بَنوكِ ونفتديكِ لتَنَعَمي
نهديكِ أرواحًا إذا ما قالت سَنَفْنَى قَبْلَ أنْ

بدأ الشاعر بالانسحاب من القصيدة في آخر بيتين حين استعان ببنية النداء للوطن؛ ليرسم حوارًا مع الوطن؛ حيث وسم المملكة بأنها خير أرض، وهي رسالة مبطنة للحاقدين مفادها: بأنكم مهما ادّعيتم على الوطن ورموزه، فإن حبّه متغلل فينا، فالنداء يكون في غالب الأمر لمحب؛ لأنَّ طبيعة النفس البشرية تكره أن يتجرع فمها اسم العدو، فالنداء للتودد والتقرب، فكيف إذا أردف وصفها بخير أرض؛ ليرسل رسالة أخرى بأن السبب في حب هذه الأرض ليس فقط، لأنها وطننا، وهذا كافٍ، لكن لما يتمتع به هذا الوطن من ميزات عدة. ثم ينتقل للأسلوب الخبري المؤكد (إنا بنوك)؛ فالابن ولد الإنسان، وهذا هو المعنى المعجمي، إلا أن السياق الشعري الذي خرج إليه المعنى من أننا نتعلق بهذا الوطن تعلّق الابن بأبيه، وهنا سيميائية حجاجية عبر رسم هذه الصورة. وتتأتي كلمة "نفتديك" مفتاحًا للبيت الأخير الذي هو قفل للقصيدة، فالبيت الأخير يحمل دلالة التضحية للوطن، وليست أية تضحية، بل قبل أن يداهم الخطر بدلالة العبارة "إذا ما أُنْطِقَتْ

[١] الإيضاح في علوم اللغة، محمد القزويني، ص١٢٤.

[٢] نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، الحسين، ص٧١.

قالت سَنَفْنَى قَبْلَ أنْ تَتَألَّمي"؛ أي إذا أنطقها الألم ودّعت شعبها، فإنهم –الشعب السعودي- لن ينتظروا مجيء الشر المحيق، فهم سيتصدون للخطر قبل أن تشعر به بلادهم التي وصفها بالوالد، وفي جعلهم بنيها تمهيدًا للمعنى

المبحث الثالث: سيميائية البنية العميقة والبنية السطحية

إن البنية السطحية تُعنى بما يطفو فوق النص، أما البنية العميقة فتهتم بما يقع تحت النص، فهي تهتم بالبنيات الصغرى للدلالة[١].

و"تدرس السيميائيات الدلالية الربط بين المكون الخطابي بالمكون السردي داخل البنية السطحية، بدراسة الأدوار التيماتيكية، والعاملة للفاعل، ويفسر هذا بأن الأدوار التيماتيكية ملتقى الطرق، ومركز التقاطعات بين المكون السردي والمستوى الخطابي "[٢].

فالبنية السطحية ظاهرها تيمة الدفاع عن الوطن، وهي جاهزة على السطح، غير أننا حين نتتبع الأنا المبدعة لا نراها ظاهرة كما في ظهور الطرف الآخر "العدو السفيه"، وظهور الطرف المُدافَع عنه، وهو الأمير محمد بن سلمان والوطن والشعب السعودي، فالشاعر طوى نفسه في ذات الشعب، وأصبح منصهرًا فيهم، يُظهر نفسه من خلال تعبيراته عنهم. ومن دلالات ذلك قوله: "إن المصاب مصابنا" "إنا بنوك"، وغيرها من ضمائر الجمع التي آثر الشاعر أن ينصهر فيها، ولم يتحدث بضمير منفصل عن الأنا لديه؛ لما في ذلك من خدمة للبنية الأكثر بعدًا "العميقة"، وهي لحمة الشعب السعودي حول وطنه وقيادته، "فمفتاح القصيدة مخاطبة "السفهاء"، وهذه المخاطبة بداية لحظة وعي بالعالم من بؤرة ما - لتنتظم من خلالها تيمات صغرى لتحيل إلى التيمة الكبرى، وهي: "إن السعوديين سيف المالهم" المتشاكلة مع مغلاقها في البيت الأخير:

نهديكِ أرواحًا إذا ما أُنْطِقَتْ قالت سَنَفْنَى قَبْلَ أنْ تَتَألّمي

إن البنيات العميقة تقابل البنيات السيميائية السطحية، فإذا كان السطحي يمثل الشكل العلامي فإن الآخر؛ أي البنية العميقة، حاملة لإيحاءات أيديولوجية[٣].

وإذا كانت تيمة الدفاع عن الوطن من فخرٍ وحماسة هي الجاهزة على السطح، وهي التيمة الكبرى، وإذا كانت هذه هي مقصد الشاعر فهي "التي أسهمت في نسج القصيدة وبنياته، فقد حددت الغرض الذي أراده عبر الوسائط الموجودة في السياق، وبذلك يكون "إنّا بَنوكِ ونفتديكِ لتَنَعَمي" اختزال للشطرين التاليين، وكأن الشاعر ضغط الخاتمة ليعود بتفصيلها.

والمحتوى للقصيدة وهي البوصلة التي توجه التيمات الأخرى للتنضام، وتتضافر لتوجيهها إلى المقصد الأساس- التيمة الكبرى[٤]، أما التيمات والحقول الدلالية الأخرى فقد انتشرت في القصيدة، وأحكمت النسيج النصي للشاعر عبر مجموعة من التشاكلات والتباينات بين الحقول الدلالية التي سيطر عليها الاستفهام في أولها وأوسطها؛ ليترك النهاية إنشائية مثبتة؛ لتقودنا في النهاية إلى التيمة الكبرى؛ التحذير من المساس بقيادة الوطن وشعبه وترابه؛ لأنَّ الشعب هم حماته. ولكي تتشكل هذه البنية؛ مرَّ النص بتيمات عدّة يمكن تنظيم تكونها عبر تيمات معينة، هي:

١- تيمة "التعرف" تعريف القضية:

حرص الشاعر المبدع على أن يبدأ باستفهام، وسبق أن فصلناه في المطلع، فإثباته السفاهة لطرف يعني نفيها عن الطرف الآخر؛ وذلك لأن التحام الشعب حول القيادة دلالة من دلالات رجاحة العقل عند الطرف الآخر الذي تنفي إليه الأنا المبدعة، وهذا تشاكل مضمر، فكان حظ الطرف الآخر إثبات السفاهة له، وحظ الأنا المبدعة المنصهرة بذات الشعب السعودي نفي ذلك عنها، وإثبات العقل لها إثباتًا ضمنيًا.

ويستمر الشاعر في تعريف ما ورد من رموز في القصيدة، فالسعوديون سيفٌ لمن؟ ليأتي البيت الثاني بما كان المتلقي ينتظره "فبهم محمد"؛ لتتولد تراكيب توضح السبب؛ فهم يقفون حماة له، لا

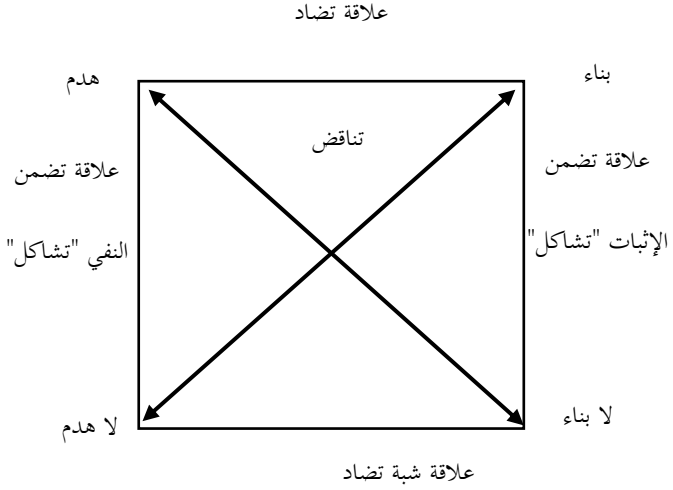

شكل (٢) تناقض

[١] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، علوش ، ص١٩.

[٢] الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات، جميل حمداوي، فقرة (٣)، ص٨٦.

[٣] المنهج السيميائي، غريماس وآخرون، ص٩.

[٤] في سيمياء الشعر العربي القديم، محمد مفتاح، ص:٥٣-٥٤.

لأنه الأمير فقط، بل لأنه نهض لتطوير شعبه، وبذلك يثبت الرفعة والسمو للأمير وشعبه عبر دالة "يرتقي"، ودالة "منازلهم وراء الأنجم"، ومحاولة "هدم" البناء، وذلك لا يكون إلا للشيء العال، وهذه متشاكلات لفظية تدل على الرفعة والارتقاء، في حين أن وصف الآخر بالسفيه يدل على منقصة قدره ومكانته، فهيهات للسفيه أن يكون في مكان مرموق. ومن معرفة وصف الطرفين يتشكل السياق النصي، وتتوالد الدلالات النصية الأخرى، فالهدف من حملتهم على الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله- هي التشويش وتقويض أي مشروع ينهض بالسعودية وشعبها، وليست قضية الدفاع عما حصل للكاتب جمال خاشقجي، ويمكن أن تتشظى من هذا الشطر سبعة أسئلة سنشير إليها في الحقل الدلالي القادم.

نلحظ غلبة البنية الفعلية بشكل عام والفعلية المضارعة بشكل خاص "أدرك"، "توهم"، "يرتقي" "يرجون"، "هدم"، "يبغون"، واستأثرت البنية الفعلية على الشرح لهذا الحدث؛ لما فيها من دلالة الحدث والذات الحادثة "السفيه"، وتراوح التعبير بين الماضي والمضارع؛ ليعبر عن أن هذا الحقد والكيد ماض مستمر غير منقطع؛ لتعود بنية التوكيد الاسمية في بداية البيت الخامس، والتي تثبت للأنا الشاعرة المنصهرة في الشعب السعودي؛ لتؤكد خصوصية القضية، وأن تطبيق العدالة في وجه من أجرم شأن سعودي محض .

ولم تخلُ قصيدة الأمير من متضادات ثنائية، وبما تحتويه من علاقات تضادية أو شبه تضادية أو التضمّن أو التناقض بما يتوافق مع مربع غريماس السيميائي. وما يميز هذه الثنائيات أن الشاعر أتى بها لتصب في قالب واحد، وتتعاضد فيما بينها لمصلحة واحدة وهدف واحد، ولاشك في أنَّ التشاكل حقق انسجامًا إيقاعيًا على مستوى الدلالة؛ لتتجسد لعبة التشاكل والتباين في هذه التيمة؛ لتكون نواة أو آلية تتسع دوائرها لتغطي جسد النص، وهي آلية أولاها المدرس السيميائي الاهتمام في تأويل النص...فمظاهر التشاكل والتباين جعلت من إمكانية تجاوز القراءة الاستكشافية إلى القراءة الاسترجاعية، فغريماس يحصره في مربعه السيميائي في المضمون؛ بحيث تتحول الدلالة في سلسلة لا متناهية من الاختلاف والتقابل والتشاكل أو العكس؛ لتصبح هذه الثنائية (التشاكل والتباين) فاعلة بجزئيتها على مستوى النص، فـ"البناء" يتشاكل مع "الارتقاء"؛ لأن في البناء ارتفاعًا عن مستوى سطح الأرض، كما أنه يتشاكل مع "ما وراء الأنجم" التي تدل على البعد والعلو، و يتشاكل مع "المتقدم"، فالتقدم والسبق دليل الرفعة، وإذا كان البناء يدل على الإعمار فإن ذلك يتباين مع "الهدم"، و"تغيب" اللذين يدلان على النزول والدماء. ويمكن تصوير هذا التشاكل والتباين عبر هذا الرسم الغريماسي الآتي:

" فهذا التناقض يؤديان إلى حدي علاقة التضمين التكاملية" [1]، هذا فيما يختص بالموضوعات التيمات"، ومن خلال هذه "التيمات" أيقونات كثيرة خدمتها، فلقد وفرت السميولوجيا الأيقونية- لإمكانية دراسة الصورة في ذاتها، فإنها تعالج الصورة كنسق ينخرط في شبكات سياقية تتوالد؛ لتنتج المعنى المراد في أبعاد تأويلية جعلتها مثيرات سيميائية تعبر عن المراد، ولكل تيمة أيقونات ودوال وعلامات تربط بين وحدات النص، فمنها ما كان في البلدان، ومنها ما كان في الأسماء ومنها ما كان مؤسسات وأعضاء لجسم الإنسان ومكوناته، وعلامات أخرى مكانية وزمانية وكونية، وأشياء أخرى، ومن هذه الأيقونات الدال محمد :

فبِهِمْ مُحَمّدُ يرتقي ببلادِه وبِهِ منازِلُهُمْ وراءَ الأنْجُمِ

فلا شك في أن هذا الاسم طرف من الأطراف التي صنعت شبكة العلاقات والسياقات، وهو محور القطب الذي تدور حوله حروف القصيدة وتدرأ عنه، فالقصيدة سخرت بنيتها ظاهرها وباطنها للدفاع عن الأمير محمد بن سلمان إثر حادثة مقتل خاشقجي، وما أراده الأعداء من إلصاق التهمة بالأمير، فمحمد بن سلمان بشخصيته وأعماله، أسهمَ في صنع توازنات في النص بين الناجح غير الآبه للحاقدين، وبين أولئك المتربصين أعداء النجاح، كما أسهم الدال "محمد" أيضًا في بناء تيمة التعرف والحقد التي سنتطرق لها لاحقًا، غير أن الشاعر لم يتوانَ، ولم ينتظر كثيرًا حتى ذكر في البيت الثاني بأن محمد بن سلمان هو الملهم للشعب السعودي، وأراد أن يوضح المعادلة منذ البداية؛ ليجهز على أي حجة يريد الخصم أن يسوقها؛ حيث إن السعوديين الذين أردتم أن ينقلبوا على الأمير هم سيفه؛ ليوضح السبب، ليس لأنه أميرهم فحسب، بل لأنه الذي يسعى لنهضة بلدهم ورقيها؛ ليحاجج الخصم بالأسباب التي تجعل السعوديين ملتفين حوله، ولم يكتفِ الشاعر بذكر اسم الأمير في أول القصيدة حتى يكرره مكنى "أبا سلمان" في إشارة للتفخيم لذات الأمير، فالكنية تدل على التعظيم للشخص على عكس اللقب الذي قد يحمل الوجمين، قال:

جَعَلوا أبا سلمانَ نَصْب عيونِهِمْ
ظَهَرَ الخَفِيُّ وَكُلُّ حِقْدٍ مُظْلِمِ

وعند المقارنة بين موقع الأيقونتين، نجد أن الأولى وضعت "محمد" في البيت الثاني بعد المطلع، و"أبا سلمان" بعدها ببيت، ووضع الأيقونتين في السياق المذكور إن كان تابعًا لما أملته التراكيب النصية، غير أن له بعدًا دلاليًا؛ حيث رد إلى ما ابتدأ به، وهي صيغة بلاغية وردت في المعاجم البلاغية، وكأنه أراد أن يذكر على

[1] في سيمياء الشعر العربي القديم، محمد مفتاح، ص: ٢٢٠

الرغم من أنه لم يفتأ من تأكيدها ورد دعوى العدو، ومن تلك الأيقونات التي أسهمت في صناعة شبكة المعاني:

سيف الملهم + سيوفهم:

هل أدْرَكَ السُّفهاءُ بَعْدَ تَوَهُّمٍ أَنَّ السعوديّينَ سيفُ المُلْهِمِ

السيف أداة حربية معروفة لما فيها من الحدة والصرامة، وأراد الشاعر أن يرسل رسالة بأنهم هم القوة الحامية لأميرهم، فإن ما يسعى له الأعداء من استقصادهم، وجعلهم أداة ضد أميرهم مردودٌ عليهم؛ وذلك لأنهم الحامي لهذا الأمير:

سلّوا على فَخْرِ البلادِ سُيُوفَهُمْ ونسُوا بأنَّ الشَّعْبَ كَفُّ المِعْصَمِ

وبعد البيت السابق بثلاثة عشر بيتًا أتى بكلمة "سيف"، لكن في هذا المرة تطابقت في المدلول المعجمي، غير أن سيميائية كلمة "سيف" في البيت الأول مختلفة عن البيت الثاني، فالبيت الأول أداة دفاعية، وفي البيت الثاني أداة هجومية حاقدة، ولعل هذا التباين بين من ينظر إلى الفعل وبين ما يستبق الفعل وذاك، أفاد معنى، وهو بأن الشعب ليس بالأهوج ولا الجبان، ففي مواطن تحتاج للهجوم سيكون، وفي مواطن يحتاج الدفاع سيكون، ولا شك في أن الدور العلاماتي الذي قامت عليه دالة "سيف" محوري، فمنها تبدأ وتتولد البنية الشاملة، أو ما يسمى برؤية العالم، وهي التحذير من الاقتراب من الوطن و شرعيته.

بعد:

هل أدْرَكَ السُّفهاءُ بَعْدَ تَوَهُّمٍ أَنَّ السعوديّينَ سيفُ المُلْهِمِ

وقد سبقت الإشارة إليها؛ حيث إن البعد الدلالي للظرف الزماني "بعد" رتب طريقة تفكير السفهاء، فمبتدأ تفكيرهم "وهمٌ"، وهو يطلب منهم التصحيح بأن يلحقوا بوهمهم فكرًا مبنيًا على التفكير الصحيح، ورسم بهذه الأيقونة الزمنية ما لا يُحس من المدركات العقلية التي ولدت شبكة دقيقة من المعاني المتسلسلة لبناء البنية الكبرى دون أن تفقد خصوصيتها.

كَفُّ المِعْصَمِ:

وهنا براعة سيميائية خدمت الحجاج النصي، وهي تكرر وتشظي لصدى البيت الأول، بخاصة جملة " أن السعوديين سيف الملهم"

سلّوا على فَخْرِ البلادِ ونسُوا بأنَّ الشَّعْبَ كَفُّ المِعْصَمِ سُيُوفَهُمْ

فتركيب كفّ المعصم ليست الصورة المعجمية، بل أراد أن يبيّن بأنهم سيفه الذي يذود عنه، وكفّه التي تدافع عنه، غير أن دلالة اتصال الكف بالمعصم بالمعنى السطحي ترسل إيحاء بقرابة الأمير من شعبه؛ فـ"سيف الملهم" توازي وتشاكل "كفّ المعصم"، وكلاهما يتشاركان في تعزيز البنية الكبرى؛ التفاف الشعب حول ولي العهد قبل أن يغتر طامع بذاك البلد والشعب.

٢- تيمة الازدواج:

وهي تأرجح فكر الطرف الآخر والكيل بمكيالين، فقفل التيمة الأولى، والحقل الدلالي لها؛ ولّد منها بنيات استفهامية، ولا يخفى ما لذلك من عمق دلالي، وتكثيف للمعنى؛ حيث احتلت صيغة "مالي أرى" خمس مرات، وأتى السؤال السادس "ما حركت"؟ والسابع "هل هان"؟

فالشاعر يثبت الموازين المتأرجحة للسفهاء، فهم أمام القضايا التي تحتاج إلى النصرة لا تجدهم يتكلمون، في حين أن قضية الصحفي التي تُعدُّ شأنًا داخليًا وموضوعًا على ميزان العدل السعودي؛ تراهم قادة ودعاة إلى العدل، فهم ينعدمون في أماكن النصرة ويوجدون في غيرها، لا بغيةً للعدل، بل لمآرب أخرى، فالضغط الاستفهامي "هل أدرك السفهاء؟" في هذه الصيغ الاستفهامية الواردة في عتبة النص، يحيل إلى الأزمة التي تعيشها الأنا (الغريم السفيه) من اختلال الموازين والمراوغة، وما تعيشه الأنا المبدعة من التعجب الساخر الذي يبرهن على أن أمرهم مكشوف، فثمة تطور درامي "مرجعه" شبكة الأسئلة التي تحيط بتولد الدلالات واتساعها، فتقود إلى عمق شعرية النص من تردد الازدواجية التي يعيشها الغريم، والحنق الذي يؤله من تطور السعوديين والتفافهم حول قيادتهم. فشكّل الاستفهام فضاءات من عتبة القصيدة، وفتح بذلك مستويات دلالية سيميائية عميقة، فالدوائر الدلالية الاستفهامية المنتشرة على خارطة القصيدة شكلت كشفًا لهدف أولئك السفهاء الذي أثبته الشاعر في حديثه في تيمة التعرف والتعريف بالحدث.

كما نرى حضورًا مكثفًا لضمائر الملكية في خطاب الأنا المبدعة الذي عبر عنه بضمير المتكلم، وهي المرة الوحيدة التي خرج الشاعر فيها من عباءة الأنا الجماعية في السياق النصي على هذا الشكل؛ ليولد هذا الخروج تباينًا بين ما يعلنونه من العدل وبين هدف آخر مبيّت يؤكده بعد الاسترسال في الضغط الاستفهامي

في أول بيت في القصيدة عندما قال:

لا والعظيمِ الحَقّ حَتمًا إنَّها لَذَريعَةٌ تُتلى لأَمْرٍ مُبْرَمِ

وقد خدمت هذه التيمة دوال عدة منها:

إيران:

لا شك في أنه ما من أحد يلم بأدنى ثقافة، لا يعرف أين تقع إيران ولا يعرف عراقة تاريخها، وهذا ما يظهر للقارئ في بداية تلمحه لهذه الحروف الأربعة "إ ي ر ان" في العقل الجمعي: بلد كبير، متعدد الثقافات، ذو إرث فارسي الحضارة، والسياق لم يورد هذا المعنى المعجمي المتعارف عليه في العقل الجمعي، فهو يقول:

ما لي أرى الأعيانَ فيكُم لا ترى ما كانَ مِنْ إيرانْ.....هَلْ كُلُّ عمى؟

" ما كان من إيران" هذه الجملة الموصولة التي فتحت واختزلت ما لا يمكن ذكره ولا وصفه من أعمال إيران الإجرامية الطائفية؛ ليستعملها حجاجًا عليهم، وإثباتًا لتناقضهم وازدواجيتهم عبر التساؤل التعجبي الذي يحمل سخرية لتناقض تصرفات الخصم، وكأنه يقول: إن كنتم ضد الأعمال الإجرامية فأين أنتم من سلوك نظام هذه الدولة.

أركان:

ما حَرَّكَتْ (أركان) فيكُمْ شَعْرَةً في (بورما) هل هانَ حَرْقُ المُسْلِمِ

وإذا كانت إيران تمثل قمة نشر الظلم والتسلط ونشر الفوضى، فإن أركان "بورما" تقابلها، فإيران الظالمة، وبورما مظلومة في دلالة أبعد بأنكم لا تردعون الظالم، ولا تنصرون المظلوم بوصفها دلالة على ازدواج المعايير، غير أنه سلك هذه المرة أسلوب النفي والتوكيد المختوم بالاستفهام الذي حمل أيضًا استهزاء بالخصم، وصرح به في استفهامه: "هل هان؟" ونلحظ أن الشاعر استخدم الاسمين "بورما" "أركان" في تسمية هذا البلد، وهما وجهان لعملة واحدة، غير أن هذين الوجهين يصنعان معاني تأويلية متشعبة عبر استحضار التاريخ؛ ليذكر بأن هذه الأيقونة تدل على امتداد القضية تاريخيًا فأين نصرتكم؟ كما نرى الازدواجية تمتد ليذكر الأنبار.

الأنبار:

ما لي أرى الغَضْبانَ فيكُمْ قَدْ بَدا عن سُنَّةِ الأنبارِ مِثْلَ الأبْكَمِ

فالدلالة الظاهرة أنه إقليم يقع في غرب العراق تسكنه الطائفة السنية، وتعرّض لحروبٍ ذات نَفَسٍ طائفي في العصر الحاضر، وبه يستحضر الشاعر ما أراد أن يؤكده في إقليم بورما، ونلحظ أنه استحضر إقليمين ظُلما، وإقليمًا آخر ظالمًا، في علاقة تباينية متقابلة ولّدت عبارات استفهامية حملت معنى ساخرًا مكذبًا للسفهاء.

ومن الدوال السيميائية "الأشخاص"، ومنها:

بشار:

فقد أضحى أيقونة لما فعله نظامه من جرائم وظلم، وكأنه يقول: إن كنتم تريدون أن تدفعوا الظلم فانظروا إلى ما حصل. ولا شك في أن هناك تباينًا بين حكم بشار الذي دمّر بلاده، وفكر ولي العهد الذي نهض ببلاده، وهنا أيضًا تباين بين الشخصيتين من حيث التعامل مع الشعوب:

ما لي أرى الإنْسانَ فيكُمْ قَدْ غَفا عَنْ سَكْبِ بَشَّارٍ لأنهارِ الدّمِ

ونلحظ توارد هذه الأيقونات في التيمة الثانية الازدواجية التي أراد المبدع أن يصفهم بها، فكوّن شبكة من الأيقونات التي تناغمت مع التراكيب الإنشائية والخبرية لتتعزز التيمة.

فسرد الأسماء هنا له أبعاد دلالية ذات عمق، تصب في مجملها في القضية التي يدافع عنها الأمير كما في سرد المؤسسات بأسمائها.

سيميائية المؤسسات والهيئات:

الجزيرة:

وعَوَتْ كلابُ الجارِ طيلةَ يومِها عبرَ الجزيرةِ منبرِ المُتَشَرْذِمِ

المعروف أنها قناة إخبارية، لكن لكثرة ما روّجته من أخبارٍ لا تتحرى فيها الدقة، والتحيز من طرف لآخر؛ أضحت أيقونة للازدواج في المعايير، ومخالفة ما تظهره من طرح. فالشاعر يُلبِس الخصم ثوب الجزيرة في مرواغتها.

ومن الدوال دوال مؤسساتي كالحشد الشعبي الذي ذكره الشاعر في القصيدة:

الحشد:

ما لي أرى الوِحْدانَ فيكُمْ قَدْ غَدا عَنْ حَشْدِها الشَّعْبيّ مَقْفولَ الفَمِ

" الحشد الشعبي": مليشيات حزبية عنصرية عراقية، ارتكبت كثيرًا من جرائم القتل والتهجير، فسلوكياتها سلوك مليشيات في أفعالها، وليس المراد بها ظاهرة، بل يولّد اسم هذه المليشيات دلالات ازدواجية، فهذه المليشيات ترفع شعارات العدالة وهي تخالفها، وهذا ما يفعله الآخر السفيه المعني في القصيدة، وهذا الإسقاط من الخارج على النص الشعري من الواقع "الحشد الشعبي."

ومن الدوال ذات البعد الدلالي ما كان لها صلة بالحواس في النص الأدبي؛ إذ تحمل لغة الإيحاء والرمز؛ لأنها تحاول تجاوز وظيفتها

الطبيعية، ولا تكتفي بوصف ما تراه، بل تصف ما هو غير مرئي أيضًا، ولهذا ترتبط الحواس في السياق الأدبي بالإدراك التخييلي والإحساس والتذكر والإسقاطات الداخلية على الخارجي، فالحواس هي الجسور التي يخلقها السياق من أجل إقامة علائق وصلات بين الشخصيات القصصية ومحيطها، وهذا ما سيتضح في سيميائية البصر كما في بيت الأمير الشاعر:

عمي+ الأعيان:

ما لي أرى الأعيانَ فيكُم لا ترى ما كانَ مِنْ إيرانْ.. هَلْ كُلُّ عمى؟

إن أيقونة العمى المراد بها ليس عدم الرؤية لما يحدث من أحداث بصرية مملوسة، بل عدم البصيرة والدقة في الحكم والكيل بمكيالين، ولا شك في أن ذكر "الأعيان" في صدر البيت عملت تضليلًا ومؤازرة للمعنى المعجمي على حساب المعنى السيميائي العميق، إلا أن السياق بما حمله من قيم دلالية غلب القيم الشكلية للأيقونتين "أعيان"، و"عمي". فـ"لا ترى" و"عمي" تشاكل، يربطهما بـ"الأعيان" لتتولد دلالة ازدواجية البصيرة والحكم لديهم.

أبكم:

ما لي أرى الغَضْبانَ فيكُمْ قَدْ بَدا عن سُنَّةِ الأنبارِ مِثْلَ الأبْكَمِ

إليكم اصفة تدل على عدم الكلام وهي الخرس، إلا أن المعنى الدلالي العميق يكرر ما كررته الأبيات السابقة، وهو كيلكم بمكيالين، وسكوتكم عما تدّعون أنكم تدافعون عنه في قضية مقتل خاشقجي.

الفم:

ما لي أرى الوِجْدانَ فيكُمْ قَدْ غَدا عَنْ حَشْدِها الشَّعْبيّ مَقْفولَ الفَمِ

ونراه هنا يستدعي الفم مسندًا إلى كلمة المقفول؛ تعبيرًا عن عدم إبداء الرأي، والتغاضي عن الباطل دون أي ردٍّ له بالقول.

سيميائية الزمان والمكان:

هي دوال تضافرت مع سياقاتها؛ لتنتج معاني ذات أبعاد مقصودة، ولنبدأ بالدوال الزمانية:

يومها: وعَوَتْ كلابُ الجارِ طيلةَ يومِها

عبرَ الجزيرةِ منبرِ المُتَشَرْذِمِ

وعَوَتْ كلابُ الجارِ طيلةَ يومها عبرَ الجزيرة منبرِ المُتَشَرْذِمِ

ليس المقصد باليوم الزمن الحقيقي، بل زمنٌ نفسيٌ يمتد ليدل على الاستمرارية في الترصد والحقد، وأن الأعداء مستمرون طوال الوقت في نشر الفتن والأخبار المسيئة، ونلحظ أن البيت يحتوي على أكثر من علامة قصد الشاعر دلالتها العميقة، فالكلاب ليس الكلب الحيوان، بل هؤلاء الخصوم السفهاء.

سيميائية الفضاءات الكونية:

أنهار:

ما لي أرى الإنْسانَ فيكُمْ قَدْ غَفا

عَنْ سَكْبِ بَشَّارٍ لأنهارِ الدَّمِ

ذكر النهر وما يحمله من عذوبة وانسياب وانسكاب وجمال وبراءة؛ ليكون رمزًا لانسكاب تلك الأرواح العذبة النقية التي لا ذنب لها، فحمل أيقونة النهر استمرارية القتل، وعدم توقفه لدماء بريئة.

٣- تيمة "الحقد" وصف أشكال العداوة والحقد:

إن الحقد على ولي العهد ليس هدفهم في هذه الحادثة فقط، بل كأن الطرف الآخر سخَّر نفسه لمناصبة الأمير العداء، وقد كانوا يسترون حقدهم، فإذا بهم يظهرونه علانية. فالشاعر يحجّهم بأن عداوتهم نابعة عن حقد لئيم ينتظر الفرصة، وكلمة "سلّو" من الاستلال وهو إظهار المخفي[1]، وتستعمل للسيف عادة؛ ليولد الشاعر هذا التركيب من "سيف الملهم"، ومن "كفّ المعصم". وكلا التركيبين الإسناديين متشاكلان في المعنى؛ معنى الدفاع عن الوطن، وكلها تدل على أن الأنا الجماعية التي انضوى تحتها الشاعر الأمير ستتصدى لهذه الأحقاد، ونلحظ هنا أن البنية العميقة بدأت تتجلى، وهي تلك الرسالة التي يعطيها السياق من تحذير الطرف الآخر الموسوم بالسفاهة بأن أي تقويض وتشويش وتأليب للسعوديين ضد سعوديتهم من أجل التمرد على القيادة وولي عهدهم، سيكون الرد كالسيف والكفّ المدافعة، وبذلك تتضح دلالة تلاحم الشعب في القيادة.

و تتواصل السياقات النصية في التشظي لدلالات تعبيرية تصف صور أحقادهم وتشكلها على أقبح ما يكون، وهذا يعلل وصف الأنا المبدعة لهم بصور القبح؛ لما تنطوي عليه سرائرهم، وقد حرصوا عبر أي وسيلة إعلامية كانت بما تمثله بعض القنوات التي جعلوها لسان أحقادهم وخططهم؛ ليثبتوا الدناءة والسقوط، وينفي ذلك عن الشعب السعودي؛ مما يضعنا أمام تباين برسم صورة متناقضة مثبتة لطرف الحقد والحسد، ونافية عن الآخر ذلك، وقد ساعد هذا المتن المعجمي في توليد سياق آخر يؤكد مكانة كلٍّ من

(١) المِسَلُّ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى المِسْلُول أَي مَا سُلَّ مِنْ قِشْرِهِ.... وَيُقَالُ: سَلَلْت السيفَ مِنَ الغِمْد فانْسَلَّ. لسان العرب، ابن منظور، مادة سلل.

الطرفين، لكن في هذه المرة ليس طرف الشعب السعودي المستبسل في الدفاع والاصطفاف حول ولي عهده، وإنما بين الأمير ولي العهد وأولئك السفهاء؛ ليثبت لهم السفالة والدنو الناتج عن أحقادهم، في حين يثبت العلو والسمو للأمير. وإن كان الإثبات يتضمن معنى للنفي، غير أن الشاعر، لحرارة الموقف، لم ينتظر أن يكون ضمنيًا، بل قابل الإثبات الصريح بالإثبات الصريح، وكلٌّ من الإثباتين يشمل نفي المضاد من الصريح؛ لتناظر الصفتين المتباينتين؛ ليتضح الفرق الشاسع بينهما، فالأمير مشغول برؤيته ونهضة شعبه، وهم مشغولون بالتأليب والحقد، وإضافة كلمة "سبحوا" تثبت السعي الدؤوب المتكرر للسفهاء، فالتسبيح عبادة جرى فيها التكرار والاستمرار، في حين تثبت "سبّحو" أن الأمير مستمرّ ومنشغلٌ بالبناء والرقي لنهضة شعبه، عندما أورد صفة التسبيح بوصفها سمة للسفهاء تثبت صفات لهم، وتعطي دلالات عن الطرف الآخر من الشعب وولي العهد. فالتسبيح يحمل دلالة الاستمرارية والتتابع، فاستمرارية حقدهم واستمرارية إنجازات الأمير تتباينان، ممّد لهذه الدلالة ما ذكره الشاعر من أشكال الحقد "جاؤوا بكل سقيطة ودنيئة"، وأتوا بكل بذاءة في المعجم" فلفظ العموم "كل" بتكراره صنع دلالة الحشد والاستنفار لدى العدو المشغول ضغينةً على ولي العهد، ويتضح السبب الذي يؤكد أنهم أعداء النجاح، وبذلك تمخض شبكة من العلاقات بين التيمة الأولى التي ضغط الاستفهامات التي يتولد منها دلالة الازدواجية، ومن هاتين التيمتين تولدت معاني التيمة الثالثة. وتعود الذات الشاعرة لتبين ما قررته العتبة النصية، وهو توهم فكرهم، وأن عليهم اللحاق بالحقيقة، فالتسبيح نهايته الغفران، أما الحقد فنهايته الخذلان، وبين هذا وذاك تباينٌ شاسع، ولّدته دلالات سابقة بشكل خفي؛ ليتضح جليًا في البيت "لعلوه ودنوهم..."، ويكمل البيت الذي بعده تمخض دلالة الخسران التي تدل على سفاهة عقولهم؛ لأن العاقل يختار المصائر الرابحة، ومن ثَمَّ نستطيع من هذه التيمة رسم بعض العلاقات التشاكلية المتباينة التي جاءت متناسلة عما قبلها ومولدة لما بعدها كما وضحنا، ونصورها الآن بالمربع الغريماسي:

جاءوا بِكُلِّ سقيطةٍ ودنيئةٍ وأتَوْا بِكُلِّ بذاءةٍ في المُعْجَمِ

لِعُلُوِّهِ ودُنُوِّهِم لم يوصِلوا صوتَ النُّباحِ ولا أذى المُتَكَلِّمِ

وفي موضع آخر:

جَعَلوا أبا سلمانَ نَصْب عيونِهِمْ ظَهَرَ الخَفِيُّ وكُلُّ حِقْدٍ مُظْلِمِ

علاوة على ما ورد، فإن هناك علامات، لها تشاكل خفي، كما في تشاكل ظهر نصب عيونهم؛ حيث إنَّ كليهما يدل على الوضوح وعدم الخفاء، فمن خلال هذه الشبكة من العلاقات يتضح لنا أن الشاعر أراد أن يبين ويؤكد ويحاجج في دناءة السفهاء، فهم يحكون في الظلام لضعفهم، ومع ذلك أمرهم جلي، لم يعد مستورًا، وخصوصًا مع هذه القضية: ونشكلها عبر المربع الغريماسي الآتي:

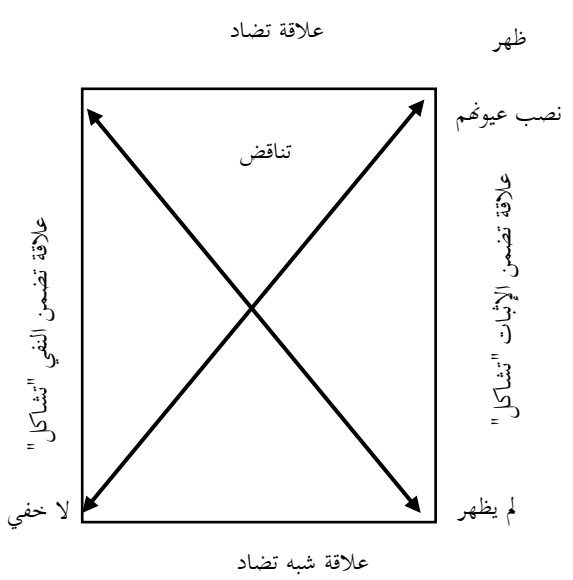

الشكل رقم (٣)

ويمكن اختزال أشكال حقدهم عبر العلاقات التشاكلية المتباينة التي يصورها المربع الغريماسي الآتي:

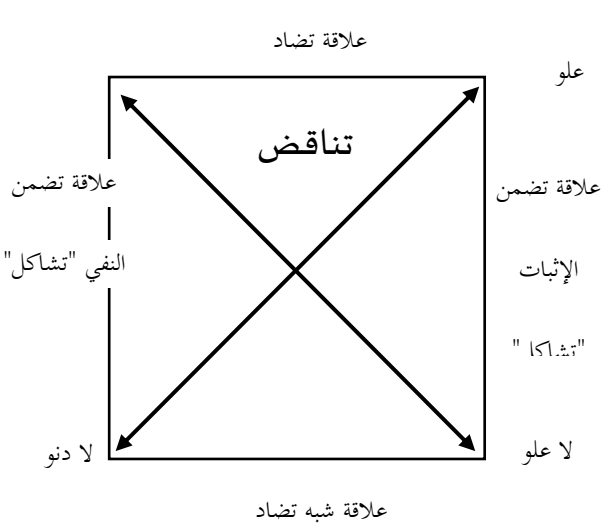

شكل رقم (٣) تناقض

ومن الدوال التي أسهمت في تناسل شبكة المعاني دالة "عيونهم":

جَعَلوا أبا سلمانَ نَصْب عيونِهِمْ ظَهَرَ الخَفِيُّ و كُلُّ حِقْدٍ مُظْلِمِ

وهنا أتى بهذه الحاسة، وأراد ظاهر معناها، وهو العين المجردة، غير أن هذا الظاهر له أبعاد، فقد استخدم المدرك البصري لتحديد موقع الأمير من العداوة، وهو أنه هدفهم الذي لا يسلون عنه لتنصب هذه الأيقونة، وتسهم في بيان تيمة الحقد الذي يحملونه.

ومن الدوال ذات السيميائية من الجمادات أخرى:

قضّهم وقضيضهم:

"القَضّ الحصى الكِبار، والقَضِيض الحصى الصّغارُ، أَي جاؤوا بالكبير والصغير"[(١)]، وهذا هو المعنى المعجمي المتواضع عليه.

ماجَ البُغاةُ بِقَضِّهِم وقَضيضِهِمْ يرجونَ هدمَ بنائهِ المُتَقدِّمِ

هذا ظاهر الدلالة من الدال، أما المدلول العميق الذي أراده الشاعر فهو أن هؤلاء السفهاء من شدة حقدهم وحَنَقِهم على أفعال الأمير محمد بن سلمان ورؤيته اهتز فيهم كل شيء من الحقد، بل ما ادخروا إلَّا ولا ذمّة إلا قدموه؛ سعيًا منهم لتدمير ما يسعى إليه هذا الأمير لشعبه، وتشويهه، وقد سبق المسبَّب السبب، مستخدمًا تلك العلامات ومطوعًا لها؛ ليحاجهم بسوء أفعالهم، مبيّنًا معدنهم الدنيء المبني على الحقد والمؤامرة .

ومن الدوال السيميائية الجامدة "المعجم":

جاءوا بِكُلِّ سقيطةٍ ودنيئةٍ وأتَوا بِكُلِّ بذاءةٍ في المُعْجَمِ

فالشاعر أراد تفنن السفهاء بتلفظهم على الأمير محمد بن سلمان، وقد أورد "سقيطة" "دنيئة" "بذاءة"، وهذه ألفاظ متشاكلة تدل على انتمائها إلى حقل دلالي، وهو قبح الكلام؛ ليأتي بمدلول أوسع، وهو المعجم؛ أي إنهم ما استبقوا، وهذه الأيقونة أفادت استخدامهم جميع طرق الحقد، فهو لا يترك أي موقف ليظهر، وهذه الأيقونة وسَّعت من صورة أحقادهم؛ فجعلتها مفتوحة أمام متخيلة المتلقي.

٤- تيمة الفداء والتضحية:

على الرغم من أن حيز هذه التيمة في القصيدة لا يتجاوز البيتين، فإن شبكة السياقات النصية سعت إلى تكوين هذه التيمة بشكل متّسق مذ مطلع القصيدة، وانتهاء بختام القصيدة، فسيف الملهم ليس شعارًا، بل فعل يظهر، كما هيمنت البنية الحوارية في البيتين لمنح صورة متحركة من الأنا الجمعية التي عاد الشاعر لينحل وينصهر عبرها بوساطة صيغة النداء، فناداها بخيرية هذه الأرض، مشيرًا إلى مقدساتها وإرثها الديني، علاوةً على محامد جمّة مؤكدًا أن شعبها مضحٍ بذاته من أجل بقاء الوطن؛ ليعطي الحوار نوعًا من الطول والتفصيل لما جرى اختصاره في البيت الأول من التيمة، فيقابل حنق العدو واحتراقه بحسده بالحب والولاء والتفاني، فالأرواح "تهدى"، والهدية تخرج من طيب نفسٍ ورضا، على عكس العطاء الذي ليس شرطًا أن يحمل هذا المعنى، بل يتضخم السياق ليولد معنى أكبر، وهو أن هذا الشعب سيف الملهم وكف المعصم، يفزع لهذا الوطن قبل أن يتألم، فهم لا ينتظرون هجوم العدو، بل هم متوثبون قبل أن يأتي، وفي هذا تعزيز لمبدأ الشجاعة الذي يتحلى به الشعب، وإثبات له، ونفي الخذلان عنه، فصورة الشعب الفرح بإنجازات أميره، وصورة العدو المتآكل بحقده الحزين؛ لعدم تحقق مآربه، وبين النهايتين -نهاية الطرف الآخر السفيه، والشعب الشجاع- بون كبير رسمته شبكة من المفردات ضمن سياقات وعلاقات بين الألفاظ والتراكيب التي تشعبت في تيمات توالدت في ذهن الشاعر؛ مما جعل مخاض بعض الدلالات يولد مسبقًا قبل وجودها ليفصّلها لاحقًا، وليصل إلى البنية الكبرى، وهي الفخر والحماسة، والبنية العميقة، التي تكمن في أن مصير من يقترب من الوطن أو أميره أو يترصدها الخذلان؛ لما يتسم به شعبه، ولذا كان من الحماقة والسفاهة ما توهموه، ومن الدوال التي خدمت السياق ومعناه: "قبل"، وهي ظرف زماني هنا حين قال:

نهديكِ أرواحًا إذا ما أُنْطِقَتْ قالت سَنَفْنَى قَبْلَ أنْ تَتَألّمي

فـ"قبل" ظرف يأتي لمعنى الزمان، وقد زاد معنى دلاليًا فارقًا، ولو وضعت "بعد" القلب لكان المعنى فبعد أن تتألمي؛ يعني أننا السعوديين سنهب لنصرة البلاد وولي عهدها بعد الهجوم، وهذا ليس في أعلى درجات الشجاعة والنصرة؛ حيث إن هذا الشعب متأهب قبل أن يحدث الهجوم، وهذا أمّن كمال الشجاعة والمحبة، فدلالة الترتيب الزمني تولِّد شبكة من المعنى المختلف إذا استبدل بها ظرف زمني آخر، ومنها دالتا أرض: الدنا :

فهذا التركيب عنى فيه:أنَّ الأرض كلها مجتمعة، وأن خيرية وطننا تعادل خيرية الأوطان كلها مجتمعة، يكفي أنها مهبط الوحي وقبلة المسلمين، فحقّ أن يكون لهذا الوطن من يتفانى ويفزع لحمايته قبل أن تلم به الدوائر.

سيميائية الصورة:

"خصص "بورس" تعريفًا للعلامة، رأى فيه أنَّ العلامة أو المثل في شيء ينوب بالنسبة لشخص ما عن شيء معين بموجب علاقة ما أو بوجه من الوجوه إنه يتوجه إلى شخص ما؛ أي يخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطورًا، وهذه العلامة التي يخلقها يسميها "بورس" مؤولًا للعلامة الأولى، هذه العلامة تنوب عن موضوعها، إنها لا تنوب عن هذا الموضوع تحت أي علاقة كانت، ولكن بالرجوع إلى فكرة أسماها "بورس" مرتكز الممثل، وقد ولد هذا التعريف المفهوم العلائقي الثلاثي للعلامة،

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (قض).

وهو الأساس للاستعارة كعلامة ثلاثية الحدود (ممثل، موضوع، مؤول) إذا لا يعد "بورس" العلامة وحدة تقصد لذاتها، بل كعلاقة بين علامات جزئية"[١].

١- إن اللغة تشكل ميدانًا للعلامة؛ لأنَّ اللغة فيها من درجة ثانية أي درجة مجازية اللغة لا تشمل إلا على المجازات، فهي تبدي عكس ما تخفي، فبقدر ما تكون غامضة ومتعددة؛ بقدر ما تكون غنية بالرموز والاستعارات "واللغة المجازية ينظر إليها من منظور سيميائي، ويبحث فيها ما خفي من دلالات عميقة"[٢].

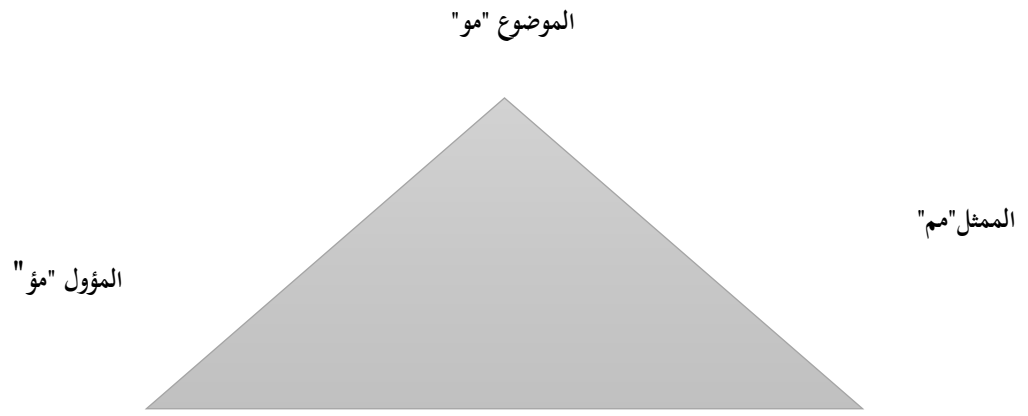

شكل رقم (٤)

[١] الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، محمد في الماكري، ص٤٤.

[٢] التأويل بين السيمائيات والتفكيكية، إيكو، إمبرتو، ص١٤.

وعَوَتْ كلابُ الجارِ طيلةَ يومِها عبرَ الجزيرةِ منبرِ المُتَشَرْذِمِ
لِعُلُوِّهِ ودُنُوِّهِم لم يوصِلوا صوتَ النُّباحِ ولا أذى المُتَكَلِّمِ

فهل للسفهاء عواء؟ فتجسيدهم بالكلاب العاوية يعود بنسبة الإسناد الصحيحة صوت النباح بعد أن نسب لهم العواء، وهو نباح الكلب الممتد المستمر، فبعد أن شخص الأعداء بالكلاب العاوية، عاد ليصف صوتهم بالنباح، ليصفهم بالأذية؛ الكلام الكاذب، والفحش، والسحت؛ فالعواء والنباح علامتان تحملان دلالات ذات بعد مرتبط بالنية السيئة المرادة منها، وهو ما أراده الشاعر من أذية القول، فتشبيههم بالكلب العاوي يضم تحته معاني عدّة، وهو خروجهم من إنسانيتهم وعقلانيتهم لنراهم كعقول الكلاب وحديثها (حيوانية العقل واللغة + عدم التفكير الناضج)، فتصور هذه الاستعارة خروج السفهاء الأعداء من عقلانية البشر وحديثهم، ودخولهم في حيوانية الكلاب وحديثها؛ لتكون هذه الاستعارة إحدى خيوط السمة المكونة لتيمة الحقد:

ماجَ البُغاةُ بِقَضِّهِم وقَضيضِهِمْ يرجونَ هدمَ بنائهِ المُتَقدِّمِ

فشبّه إنجازات الأمير بالبناء الذي يدل على الارتفاعات والسمو والعلو التي تتشاكل مع إنجازات الأمير، وشبه أحقادهم ومؤامراتهم بالمعول الذي يريد هدم البناء، فالهدم يحمل دلالة السقوط والدمار والانحطاط، وهذا ما يتشاكل مع نيتهم السيئة، وبين الهدم والبناء تباين وتضاد في الآلية والشكل والنهاية.

"هدم بنائه" يجسد في هذه الدلالة من خلال أسلوب التباين الذي يعتمد على التناقض والتباين؛ ليبرز المتناقضات، فبين الهدم والبناء صور متباعدة؛ ففي البناء ازدهار وإعمار ورغد، وفي الهدم دمار وانكسار وتراجع، وهذا يمثل كينونة الأمير والسفهاء، وفي ذلك حجة عليهم بأن وراءكم التخلف ووراءه التطور، وهذه حجة مفادها النتائج من أفعال الشخوص، وتأكيد سبب محبة الأمير الشاب من قبل شعبه، فالشاعر لم يتعامل مع البناء على أنه مجرد شيء، وإنما تعامل معه بخصوصية الشاعر الذي لا يلبث أن يحول البناء إلى دلالة خاصة، تنطق برؤيته، وتترجمها وتفصح عنها؛ إذ إن البناء تحوّلٌ من علامة بصرية أيقونية إلى علامة ودلالة متولدة عن اللغة الشعرية.

لكنَّهم في حقدِهِم شُغِلوا بهِ فغدا بأضْلُعِهِم كنارِ جَهَنَّمِ

وبما أن الاستعارة أدخلت في الأيقونات والرموز السيميائية فلا شك في أن التشبيه الذي تولدت منه ينطبق عليها، غير أنَّ الاستعارة أكثر اختزالاً للرمز والأيقونة؛ بسب حذف أحد الطرفين .

النار وجهنم:

تدل على الاحتراق/ التآكل/ الحرارة، وهي شيء مادي محسوس، يصور شيئًا غير محسوس، فشبّه بها حرارة الحقد، والحَنَق على ولي العهد وإنجازاته، غير أن النار أكثر عمقا، وهذا ما سنوضحه في السطور الآتية:

"كنار جهنم": الترادف الذي حققه الشاعر لم يرده على ظاهره، فقهرهم وحقدهم على الأمير والسعودية مشتعل كنار جهنم، والسؤال لم اختار الشاعر اسمين مكررين في الظاهر؟ وهل هناك فرق بين النار وجهنم؟

إنَّ النار لها دركات، قال -جل وعلا- ﴿إنَّ المنافقينَ في الدَّركِ الأسفلِ من النَّار...﴾ (النساء: ١٤٥)، وجهنم من دركاتها، فلكل دركة اسم معين خاص بها، وجهنم قعر النار، كما ورد في لسان العرب[١].

فالنار دلالة على الاشتعال، وجهنم دلالة على تعمق هذا الحقد والحنق على السعودية وأميرها، وهذا ليس حديث عهد.

في ضوء هذا التجلي الكاشف عن فاعلية التشبيه والتجسيد، وبث روح الأنسنة في جوامد تعني علامات بصرية، لم يكتف بها الشاعر ليجعلها علامات تبرز القدرة والكفاءة في توليد المعاني وتناسلها، فقد تعاضدت مع اللغة الشعرية المولدة لدلالة جديدة؛ ليصبح هذا النسق الدلالي مبينًا لرؤية الإنسان التي تقوده إلى فتح آفاق ودلالات تتلاءم مع المعنى المعبر عن الموقف.

فالتشاكل الحاصل بين النار وجهنم، وبين الحقد، ولَّد تركيبًا يحمل دلالة سيميائية أسهمت في توالد تيمات الحقد في النص الشعري.

وبهذا يتجلى لنا كيف كوّن الشاعر سياقاته، وعبّر عن معانيه في النص الشعري، فالصور الشعرية التي وظفها الشاعر في قصيدته صور فنية، لم تخرج عن صورة الرؤية، وصورة الوثيقة، المرتبطتين بالذاكرة التراثية، والحس المرجعي، والبيئة المألوفة، والعالم المادي الذي يحيط بالشاعر.

فوقف عند صور شعرية مادية محسوسة، تتأرجح بين التعيين والتضمين أو التقرير والإيحاء، كما يستوحي صورًا شعرية مستهلكة في الشعر العربي القديم.

[١] لسان العرب، ابن منظور، مادة (درك).

الخاتمة

وبعد هذا نستطيع أن نخلص إلى الآتي:

١- إن التناص الذي وقع في المطلع أعطى القصيدة زخمًا نسقيًا ثريًّا، أمدها بمعانٍ عقلية من خلال فعلي التوهم والإدراك؛ لنلحظ أنَّ الفعل الماضي "أدرك" كان يحيل إلى عهدٍ ماضٍ لا إلى عهدٍ حاضر من غي الفكر وظلام الحقد؛ ليحلق في استمرارية حقد هؤلاء السفهاء، ويربط الزمن. فالتناص مع قصيدة عنترة ظاهر في الموضوع، باطنه التقاء واقتراب، فإن تحدث الفارس العبسي عن حبّه لعبلة وفروسيته الضاربة، فالشاعر السعودي استسقى حبّ عنترة لحبّ السعوديين وقيادتهم وفروسيتهم في الدفاع عن الوطن وقيادته، فالمشترك هو الحب بين المطلعين، "فمطلع عنترة له مركزية في الشعر العربي عبر العصور، ولعل ذلك كان؛ لأنه لم يسبق إلى فكرة هل ترك الأول للآخر ما يقول؟"[(١)]، وكأن هذا التناص يمنح القصيدة بعدًا استفهاميًا تهكميًا من كمية الحقد والحسد على الوطن وقادته، كما نلحظ أنَّ الأمير اختلف عن المتناصين مع هذا المطلع، فهو لم يأخذ بظاهر السياق، بل أخذ بباطنه؛ ليولد منه المعاني التي تتناسب مع سياق قصيدته، وكأنه يستسقي أيضًا من هذا المطلع: هل ترك هؤلاء السفهاء للسّفه والحقد مثالًا لغيرهم .

٢- لقد أسهمت التيمات الموضوعية المتفرعة في تدعيم البنية الموضوعاتية الكبرى، فقد كانت التيمات كاشفة عن موضوع القصيدة وحجاجية الأمير لهم وازدواجية المعايير التي تفضح أحقادهم وسفههم، بدءًا باستكشاف القضية، مرورًا بحجاجيته لازدواجية المعايير التي أوضح سببها الحقد كتيمة ثالثة، ليقابل قوة الحقد قوة الفداء عن الوطن، - فنرى عبر هذه المقاربة التأويلية المنفتحة والمرنة أنَّ العلامات اللغوية التي ترسّمت في القصيدة، بوعي الشاعر أو بغير وعيه، ولّدت شبكة من المعاني التي أنتجت الرؤية الدلالية التعبيرية، وهي أنَّ الحياة وطن تتفانى الأرواح فيه، ولا ينازعك فيه غلٌّ الحاقد السفيه، وهذه الرؤية لها صلة بحياة الأنا الشاعرية، فهو سليل الأسرة الحاكمة، وقد عبّر عن تلك الرؤية عبر مقولات تيمائية (موضوعاتية).

٣- شكّل التباين والتشاكل أثرًا أسهم في توليد شبكة المعاني المتواصلة التي أنتجت تحولات في عرض الموضوع، عبر تحركات أحدثت عمقًا استفاد من التناص الموجود في المطلع ومن البنية الاستفهامية المتصدرة في القصيدة، فالتشاكل والتباين جعل حركة توليد السياقات في القصيدة متجددة وحاضرة وفق المربع الغريماسي.

٤- علاقة الذات المبدعة بالآخر جاءت جمعية؛ حيث انصهر الشاعر مع الشعب السعودي ليواجه الجمع الخصيم؛ فتكون القوة أكثر صرامة، أما مع الغريم الآخر المعادي فجاءت تضادية شرسة، اتضحت من خلال عددٍ من النعوت التي يستحقونها.

٥- إن تنوع الدوال الواردة في النص ساعد في تناسل السياقات النصية التي أسهمت بدورها في تجليات البنى العميقة، فقد تعددت الدوال والسيميائيات، وتنوعت إلى أنواع عدة، يمكن تصنيفها، ويمكن تنظيم ما ورد من أيقونات شعرية في النص وفق الآتي:

شكل رقم (٥)

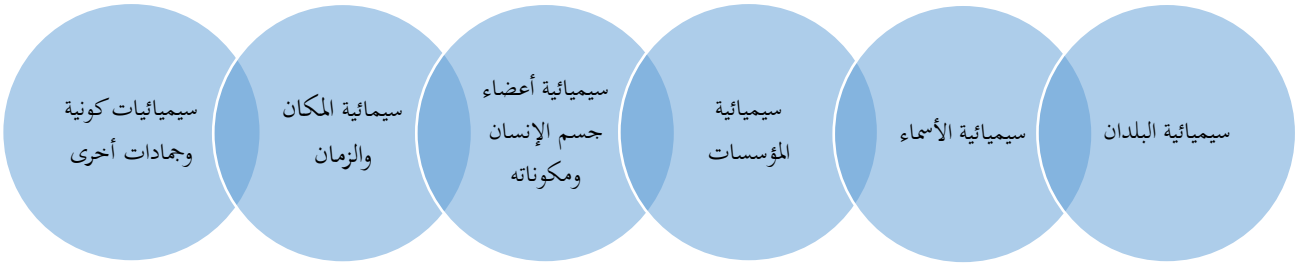

(١) عنترة الشاعر الثائر من العبودية إلى الأحرار، مرتاض، ص١١.

فموضوع السيميائية لا يقتصر على وصف الأشكال الداخلية للدلالة، بل يتعداه للنص وجوانبه الداخلية، والعلامات التي تربط بين مختلف وحدات النص.

٦-كان للبنية الاستفهامية دورٌ بارزٌ في كشف التناقضات التي لعب عليها الخصم السفيه؛ لتنقلب ضدّه عبر ملء الاستفهام بعلامات سيميائية، لها أبعاد وإسقاطات واقعية وتاريخية.

المراجع :

- أسس السيميائية، تشاندر، دانيال، بيروت، المنظومة العربية للترجمة، ٢٠٠٨م.

- اللسانيات النشأة و التطور، أحمد مؤمن ديوان المطبوعات الجامعية، ط٥، (قسنطينة- الجزائر)، ٢٠١٥م.

- الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات، حمداوي، جميل، دنيا الوطن، ٢٠١١م .

- الإيضاح في علوم اللغة، الخطيب، محمد القزويني، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٨م.

- البنية الموضوعاتية في قصيدة حاتم الطائي (وإني لعفُّ الفقر مشتركُ الغنى) في ضوء إجراء التشاكل والتباين الإجرائي، الرياض، الجهجاه، الجوهرة بن محمد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد (٥٢)، ١٤٤١هـ.(

- تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤ه.

- التأويل بين السيمائيات والتفكيكية، إيكو، إمبرتو، ترجمة: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز العربي الثقافي، ٢٠٠٤م .

- تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، مفتاح، محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٨٥م.

- التحليل السيميائي للخطاب الشعري،مرتاص، عبد الملك: إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

- التعالق النصي في شعرنا القديم معلقة امرئ القيس نموذجًا، ميدان، أيمن محمد علي، الندوة الدولية، قضايا المنهج في الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٠م .

- التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، رمضان، صالح عبد الهادي،الرياض، مركز دراسات اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٦ه.

- الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، الماكري، محمد،الرباط، الشكل المركز الثقافي المغربي، ١٩٩١م.

- سحر الموضوع، الحمداني، حميد، الدار البيضاء، منشورات دراسات سال، ١٩٩٠م.

- الشعراء العرب في القرن العشرين، شعرهم وآثارهم، الروضان، عبد عون، عمان، الدار الأهلية، ٢٠٠٥م.

- شعرية العزلة مقاربة في تشاكل النص النسجي القديم، السويكت، عبد الله خليفة، العلوم الإنسانية والإدارية، مجلة محكمة، ربيع الأول-٢٠١٧م

- عنترة: الشاعر الثائر: من العبودية إلى الْحَرَارِ، عبد الملك، مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب،مجلة، جامعة وهران، الجزائر، عدد(١١)، ٢٠١٤م .

- في الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية: قسم اللغة العربية وآدابها، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠١٠م.

- في سيمياء الشعر العربي القديم دراسة تظرية تطبيقية، مفتاح، محمد، ، المغرب، الدار البيضاء دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

- في المعنى (دراسات سيميائية)، غريماس، جوليان: ترجمة: نجيب عزاوي،اللاذقية، مطبعة الحداد، ١٩٩٠م.

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، مالك، رشيد، ، الجزائر، دار الحكمة، ٢٠٠٠م .

- لذة النص، بارت، رولان، ترجمة: عياشي، منذر ، حلب، مؤسسة الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢م.

- لسان العرب، ابن منظور، مكرم ،محمد، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ه.

- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانغونو، دومنيك، ترجمة: يحياتن، محمد،الدار العربية للعلوم ناشرون،الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٨م.

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، علوش، سعيد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م .

- المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، غريماس، كورتيس وآخرون: ترجمة: بوايو، عبد الحميد، الجزائر، دار التنوير، ٢٠١٤م.

- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، الحسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٤م.

- نقد المنهج الموضوعي، حسن، عبد الكريم، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٩٠م.

- النقد الموضوعاتي الأسس والإجراءات، الجنيدي، رضوان؛ وبيقه، عبد الحميد، مجلة آفاق العلمية، عدد١١، ٢٠٠١م.

- النقد الموضوعاتي، علوش، سعيد،الرباط، شركة بابل، ١٩٨٩م.